تعصب الجرائد

من شر أحوال التعصب أن ينفيه المتعصب عن نفسه ، ويلزم به سواه شأن المذنب الذى لا يعرف أن يتنصل من دنبه إلا باتهام غيره فيه ، وقد يكون ذلك الغير أرفع كثيراً من تُهمة ذلك الذنب ، فيرجع عليه التنصل ، ويكون حجةً له على إثبات ما يتبرأ منه . من ذلك ما وجدناه فى بعض جرائدنا عند كلامها على أحوال الدولة العثمانية ، وما تُحاوله من نفى المظالم والمغارم عن عاتقها فإنها لا تكتفى بتبرئة الدولة من تلك التهم الثابتة عليها حتى تلحقها بسواها من الدول الأوربية المتمدنة ، ولا تقف عند نفى التعصب عنها حتى تلقى وصمته على دول هى برآءٌ منه فى هذا العصر المُنير الذى شملت أنواره الدنيا تقريباً ، ولم يبق فيه ظلام إلا على دولتنا التركية دون سواها ، كان حولها سوراً يمنع عنها ما يُحيط بها من أشعة تلك الأنوار . وياليت جرائدنا تكتفى بأن تُنكر تلك الظلمات عن بلادنا التعيسة التائهة فى مجاهل الظلم والاستبداد حتى رأيناها تُحاول أن تطرح ذلك الظلام الذى نشكو منه على بلاد كلها نور وضياء لامع ، وهو نهاية الضلالة والغرور .

فلقد تكلمت احدى تلك الجرائد أخيراً عن الفتنة الكريتية وأسبابها وما سبقها من ثورة الأرمن ومذابحها الفظيعة الهائلة ، فقالت من باب الاعتذار عن الدولة العثمانية إنها غير مطلقة السراح فى داخليتها كسائر

تعصب الجرائد

من شر احوال التعصب ان ينفيه المتعصب عن نفسه ويلزم به سواه شان المذنب الذي لا يعرف ان يتنصل من ذنبه الا باتهام غيره فيه وقد يكون ذلك الغير ارفع كثيراً من تهمة ذلك الذنب فيرجع عليه التنصل ويكون حجة له على اثبات ما يتبرأ منه . من ذلك ما وجدناه في بعض جرائدنا عند كلامها على احوال الدولة العثمانية وما تحاوله من نفي المظالم والمغارم عن عاتقها فانها لا تكتفي بتبرئة الدولة من تلك التهم الثابتة عليها حتى تلحقها بسواها من الدول الاوربيـة المتمدنة ولا تقف عند نفي التعصب عنها حتى تلقي وصمته على دول هي برآء منه في هذا العصر المنير الذي شملت انواره الدنيا تقريباً ولم يبق فيه ظلام الا على دولتنا التركية دون سواها كان حولها سوراً يمنع عنها ما يحيط بها من اشعة تلك الانوار . وياليت جرائدنا تكتفي بان تنكر تلك الظلمات عن بلادنا التعيسة التائهة في مجاهل الظلم والاستبداد حتى رأيناها تحاول ان تطرح ذلك الظلام الذي نشكو منه على بلاد كلها نور وضياء لامع وهو نهاية الضلالة والغرور .

فلقد تكلمت احدى تلك الجرائد اخيراً عن الفتنة الكريتية واسبابها وما سبقها من ثورة الارمن ومذابحها الفظيعة الهائلة فقالت من باب الاعتذار عن الدولة العثمانية انها غير مطلقة

الدول تفعل ما تشاء مع الثائرين عليها ، ولولا ذلك لما تعاظمت وقفة الأرمن حتى أُريق فيها الدماء ما أُريق ، ولما ظهرت ثورة كريت بالشكل الذى ظهرت عليه الآن ، ولكن الدولة العثمانية تجد من الدول الأوربية حماة للثائرين ، ويقوم السفراء الأجانب بإظهار الشفقة والرحمة عليهم إلى آخر ما جرى به قلم العذر والتنصل من هذا القبيل . وهنا يقف قلم الرد حائراً من هذا العذر الذى صح فيه أنه أقبح من ذنب لأنه إذا كانت يد الدولة مغلولة عن الإصلاح وتهدئة الثورات وتسكين الاضطراب ، وهى مع كل ذلك قد تمكنت من مذابح أرمينيا وقتلت فيها أكثر من خمسين ألف قتيل . فماذا عسى يكون الأمر لو كانت يد الدولة مطلقة فى رعاياها ، وماذا تراها كانت تفعل أكثر من ذلك لو كانت فى حرية وإنطلاق وأية حرية واستبداد فى الرعية أعظم من أن يقتل شعب كامل بأسره ودولته واقفة تتفرج عليه بعين ، وتُشير بطرفها الآخر إلى قتلهم والإجهاز عليهم فى كل مكان أصابتهم فيه . بل من أين جرت تلك الدماء ، لو لم تكن الدولة هى الآمرة بها ، ولو لم يجر أكثرها على سيوف الجند الشَّاهانى المُنظم ؛ وفى أى شرع يقبل هذا العذر ، وأى عقل سليم يُسلم بهذا التعصب الأعمى الذى تجاوز حدود الإنسانية القلمية إلى حد المُهاترة والكلام الهراء . وبعد ، فهذه حوادث كريت ألم ترسل الدولة لها الفرقة فى إثر الفرقة وتجمع لها الجيش العرموم . فأية دولة من الدول عارضتها ، بل أية دولة لم تلح عليها بإخماد الفتنة وإطفاء تلك النار فى الحال .

السراح في داخليتها كسائر الدول تفعل ما
شاء مع الثائرين عليها ولولا ذلك لما تعاظمت
وقفة الارمن حتى أُريق فيها من الدماء ما أُريق ولما
ظهرت ثورة كريت بالشكل الذي ظهرت عليه الآن
ولكن الدولة العثمانية تجد من الدول الاوربية حماة
للثائرين ويقوم السفراء الاجانب باظهار الشفقة
والرحمة عليهم الى آخر ما جرى به قلم العذر
والتنصل من هذا القبيل . وهنا يقف قلم الرد
حائرًا من هذا العذر الذي صح فيه انه اقبح من
ذنب لانه اذا كانت يد الدولة مغلولة عن الاصلاح
وتهدئة الثورات وتسكين الاضطراب وهي مع
كل ذلك قد تمكنت من مذابح ارمينيا وقتلت
فيها اكثر من خمسين الف قتيل فماذا عسى
يكون الامر لو كانت يد الدولة مطلقة في رعاياها
وماذا تراها كانت تفعل اكثر من ذلك لو
كانت في حرية وانطلاق واية حرية واستبداد
في الرعية اعظم من ان يقتل شعب كامل باسره
ودولته واقفة تتفرج عليه بعين وتشير بطرفها الاخر
الى قتلهم والاجهاز عليهم في كل مكان اصابتهم
فيه . بل من اين جرت تلك الدماء لو لم تكن
الدولة هي الآمرة بهـا ولو لم يجر اكثرها على
سيوف الجند الشاهاني المنظم وفي اي شرع
يقبل هذا العذر واي عقل سليم يسلم بهذا
التعصب الاعمى الذي تجاوز حدود الانسانية
القلمية الى حد المهاترة والكلام الهراء . وبعد
فهذه حوادث كريت ألم ترسل الدولة لها الفرقة
في اثر الفرقة وتجمع لها الجيش العرمرم فاية دولة
من الدول عارضتها بل اية دولة لم تلح عليها
باخماد الفتنة واطفاء تلك النار في الحال . افيصح

أفيصح أن يُسمى هذا الإلحاح من الدول إمساكاً لأيدى الدولة عن العمل كما يزعمون ، وهذا الجيش المجر الذى تُرسله تباعاً تقييداً عن الإجراء وغلاً لها عن الفعل الذى يجب عليها إنفاذه فى كريت لحقن الدماء لا لسفكها كما فعلت للأرمن بتلك العلة ، فكانت عليهم أشأم علة ؛ فأين التساهل الذى يزعمونه لها ؟ وأين التقييد وإمساك اليدين ؟ .

ومن غرائب تلك الجرائد أنها تعد الدفاع الأوربى عن دماء الأمم العثمانية وتعصباً تشيعاً للدين النصرانى مع أن الدول فى موقف المُدافع الذى تقوده الإنسانية إلى منع الشر وحقن الدماء ولا تعد قتل الدولة لتلك الأمم ظلماً واعتباطاً من قبيل التعصب الذميم مع أن الدولة فى موقف السافك القاتل الذى يفعل أفعال التعصب بعينها ويقتل الأنفس التى حرَّمها اللَّه إلا بالحق . وهى غاية من جرائدنا فى التعصب القتال لم يبلغها من قبلها عقل ولا جنون .

ومن أغراضها الواضحة التى لا تقبل الإنكار أنها كانت بالأمس تدرج تلغراف روتر عن إنذار الروسية للعثمانية فى مسألة كريت ، وتهزأ به وبُمرسليه وتقول إنه لا حقيقة له ولا وجه فيه للصواب ، ثم رأيناها اليوم قد استشهدت بذلك التلغراف عينه وشفعته بالتلغراف الذى يذكر قتل الكريتين* للأتراك وتقطيعهم وكلا الرسالتين من مصدر واحد لا تُصدقه تلك الجريدة ولا تعتمد على أقواله إلا فى هذه المرة لأنه وافق أغراضها

* الصحيح : الكريتيين .

ان يسمي هذا الالحاح من الدول امساكاً لايدي الدولة عن العمل كما يزعمون وهذا الجيش المجر الذي ترسله تباعاً تقييداً عن الاجراء وغلاً لها عن الفعل الذي يجب عليها انفاذه في كريت لحقن الدماء لا لسفكها كما فعلت للارمن بتلك العلة فكانت عليهم اشأم علة فاين التساهل الذي يزعمونه لها واين التقييد وامساك اليدين ومن غرائب تلك الجرائد انها تعد الدفاع الاوربي عن دماء الامم العثمانية وتعصباً تشيعاً للدين النصراني مع ان الدول في موقف المدافع الذي تقوده الانسانية الى منع الشر وحقن الدماء ولا تعد قتل الدولة لتلك الامم ظلماً واعتباطاً من قبيل التعصب الذميم مع ان الدولة في موقف السافك القاتل الذي يفعل افعال التعصب بعينها ويقتل الانفس التي حرمها الله الا بالحق وهي غاية من جرائدنا في التعصب القتال لم يبلغها من قبلها عقل ولا جنون

ومن اغراضها الواضحة التي لا تقبل الانكار انها كانت بالامس تدرج تلغراف روتر عن انذار الروسية للعثمانية في مسالة كريت وتهزأ به وبمرسليه وتقول انه لا حقيقة له ولا وجه فيه للصواب ثم رأيناها اليوم قد استشهدت بذلك التلغراف عينه وشفعته بالتلغراف الذي يذكر قتل الكريتين للاتراك وتقطيعهم وكلا الرسالتين من مصدر واحد لا تصدقه تلك الجريدة ولا تعتمد على اقواله الا في هذه المرة لانه وافق اغراضها وجاء فيه اعتداء من الكريتيين ارادت ان ترتكن عليه في اقوالها ولولا ذلك لانكرت الخبر من اصله كما انكرت كل خبر سواه كان من هذا المصدر

وجاء فيه اعتداءٌ من الكريتيين أرادت أن ترتكن عليه فى أقوالها ولولا ذلك لأنكرت الخبر من أصله كما أنكرت كل خبر سواه كان من هذا المصدر الإنكليزى الذى تعده كاذباً مُختلقاً إلا فيما يوافق الذوق ، والغرض وهى نهاية الحطة والرثاء فى رجال الأقلام وإن عدها بعضهم حذاقة ومهارة كما يُعد السارق فعله خفة ورشاقة .

أما قولها بعد ذلك إن كل تلك الثورات والفتن دسائس أجنبية ، فنحن نوافقها عليه وطالما ذكرناه من قبلها ولكن لا نعده تعصباً من أوربا بل طمعاً ومآرب سياسية تسعى إليها ، وقد طالما كان الشرق طعمة الغرب وغنيمته الباردة ، وطالما كانت دولتنا وحُكامنا هم المُساعدين على ضياعنا وتداخل أيدى الأجانب فينا ، ولاسيما فى هذا العهد الذى نامت فيه نواطيرنا عن كرومها وتركت أعنابها لأيدى الناهبين .

ومن رعى غنماً فى أرض مسبعة

ونام عنها تولى رعيها الأسدُ

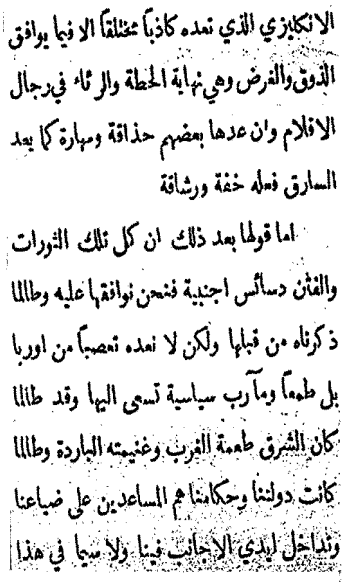
الانكليزي الذي تعده كاذباً مختلقاً الا فيما يوافق
الذوق والغرض وهي نهاية الحطة والرثاء في رجال
الاقلام وان عدها بعضهم حذاقة ومهارة كما يعد
السارق فعله خفة ورشاقة

اما قولها بعد ذلك ان كل تلك الثورات
والفتن دسائس اجنبية فنحن نوافقها عليه وطالما
ذكرناه من قبلها ولكن لا نعده تعصباً من اوربا
بل طمعاً ومآرب سياسية تسعى اليها وقد طالما
كان الشرق طعمة الغرب وغنيمته الباردة وطالما
كانت دولتنا وحكامنا هم المساعدين على ضياعنا
وتداخل ايدي الاجانب فينا ولا سيما في هذا
العهد الذي نامت فيه نواطيرنا عن كرومها
وتركت اعنابها لايدي الناهبين
ومن رعى غنماً في ارض مسبعة
ونام عنها تولى رعيها الاسدُ